التحقيق السابع: الآبار الجوفية... حفرة فساد بلا قرار

العنوان: بابل تنتحر عطشاً: كيف تسرق شبكات الفساد مستقبل المياه من تحت أقدام المزارعين؟

بقلم: "حارس الأرض"

في الوقت الذي تجف فيه أنهار العراق، تدق بابل المسمار الأخير في نعش أمنها المائي. الكارثة لا تكمن في الجفاف، بل في الفساد الذي ينخر قطاع المياه الجوفية. بينما تسجل مديرية الموارد المائية رسمياً وجود **٣,٢٥٠** بئراً مرخصة، تكشف تحليلاتنا لصور الأقمار الصناعية الزراعية عن وجود ما لا يقل عن **١٣,٠٠٠** بئر عاملة، أي أن هناك حوالي **١٠,٠٠٠** بئر "شبح" غير قانونية تستنزف خزين المياه الاستراتيجي للمحافظة. هذه الآبار لا تحفرها الحاجة، بل يحفرها الفساد، حيث يمكن شراء "رخصة حفر" في السوق السوداء بمبلغ **٥,٠٠٠ دولار**، كما شهد المهندس الزراعي الذي فضح الشبكة.

الفساد في هذا القطاع منظم بشكل هرمي. تحقيقاتنا كشفت أن "الوسطاء" الذين ذكرهم المهندس ليسوا مجرد موظفين صغار، بل هم جزء من شبكة تضم مسؤولين في مديريات الماء والزراعة، ومقاولين متخصصين في حفر الآبار. هذه الشبكة لا تبيع التراخيص فقط، بل تبيع "الحماية" من الإزالة. لقد وثقنا حالتين لمزارعين في منطقة المشروع، تم إزالة آبارهما غير المرخصة، بينما بقيت آبار جيرانهم المتنفذين تعمل دون أي مساءلة.

دراسة جامعة بابل التي حذرت من انخفاض منسوب المياه الجوفية بمقدار ٧ **أمتار** هي رقم متحفظ. بياناتنا، المجمعة من آبار مراقبة خاصة، تشير إلى أن الانخفاض في بعض المناطق شمال بابل وصل إلى ١١ **مترًا** خلال العقد الأخير. هذا لا يهدد الزراعة فقط، بل يهدد بحدوث هبوط أرضي وتصدعات في البنية التحتية للمدن القريبة.

الأمر الديواني رقم ١٥٧ لسنة ٢٠٢٠، الذي يمنع الحفر العشوائي، أصبح أداة للابتزاز وليس للتنظيم. تستخدمه السلطات المحلية لإزالة آبار صغار المزارعين، بينما يتم استثناء كبار الملاك وأصحاب النفوذ. لقد حصلنا على قائمة بـ ٥٠ بئراً صدرت أوامر بإزالتها في عام ٢٠٢٣؛ ٤٨ منها تعود لمزارعين صغار، بينما لم يتم المساس بالبئرين العملاقين التابعين لمستثمر كبير في المنطقة.

إن استنزاف المياه الجوفية في بابل ليس مجرد مشكلة بيئية، بل هو عملية إعادة توزيع للثروة المائية من آلاف صغار المزارعين إلى حفنة من المتنفذين القادرين على شراء القانون. المحافظة لا تسير نحو الجفاف، بل تُدفع نحوه دفعًا. إذا لم يتم تفكيك شبكات الفساد هذه وفرض القانون على الجميع، فإن بابل، أرض البساتين المعلقة، ستتحول في غضون جيل واحد إلى صحراء قاحلة، ليس بسبب تغير المناخ، بل بسبب فساد الإنسان.